تفسير ابن كثير

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن { فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم } أي حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى : { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون } وقوله تعالى : { وحق عليهم القول } أي كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس { إنهم كانوا خاسرين } أي استووا هم وإياهم في الخسار والدمار وقوله تعالى : { وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن } أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره { والغوا فيه } أي إذا تلي لا تسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذا قرأ القرآن قريش تفعله وقال الضحاك عن ابن عباس { والغوا فيه } عيبوه وقال قتادة : اجحدوا به وأنكروه وعادوه { لعلكم تغلبون } هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر ا سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى : { وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون } ثم قال D منتصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران { فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا } أي في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعهم { ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون } أي بشر أعمالهم وسيء أفعالهم { ذلك جزاء أعداء ا النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين } قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن أبيه عن علي Bه في قوله تعالى : { الذين أضلانا } قال إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه وهكذا روى العوفي عن علي Bه مثل ذلك وقال السدي عن علي Bه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فإبليس الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث [ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل] وقولهم : { نجعلهما تحت أقدامنا } أي أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا { ليكونا من الأسفلين } أي في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الأعراف في سؤال الأتباع من ا تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم { قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون } أي أنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى { الذين

كفروا وصدوا عن سبيل ا زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون }